جغرافية مدن السودان الغربي وتاريخها السياسي ما بين القرنين السابع والعاشر هجريين

أ. بوكارابيلة الزهراء
قسم التاريخ جامعة تلمسان

تعد الدراسات الافريقية في العصور الوسطى حقلا خصبا للبحث لأن المهتمين بها قلة على الرغم مما كتب فيها، ونقصد بالدراسات الافريقية ما تعلق بجنوب صحرائها. رغم أن مساهمات بعض المؤرخين قد أدلت دلوا حسنا سمت مسارا للدارسين والمهتمين بهذا الموضوع، لكن مازال المجال واسعا للمساهمات الجديدة.

ولأن القسم الشمالي أخذ حقه وزيادة من التناول والطرح يبقى القسم الجنوبي بأجزائه الشرقي والأوسط والغربي يحتاج للدراسة والتمحيص، لذلك اخترت أن تكون غرب افريقيا التي اصطلح عليها اسم السودان الغربي موضوعا لمساهمتي في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر الهجريين. ابتدات العمل بالتعريف بهذا المصطلح في شأن تسميته وجغرافيته ومن ثم إلى تحديد جغرافية أهم مدنها التي تحولت إلى حواضر اسلامية لها الشأن العظيم والأثر الحسن في تأصيل الثقافة العربية والاسلامية في أمصار لم تعهد سوى الجهل والوثنية.

دراسة عامة لإقليم السودان الغربي

يعتبر إقليم السودان الغربي حوض صحراوي احتضن الإسلام في مراحله الأولى، وقد أطلق هذا الإسم أول مرة من قبل العرب على أديمها الأسود[1] من جنس البشر منسبين اسم الإقليم إلى سواد بشرة سكانها، أما فيما يخص تحديد الإقليم بالغربي فلأن هناك أقاليم أخرى تحمل ذات الإسم شرقا وغربا.[2]

ويضيف ابن خلدون في مقدمته خاصة في ذكر الإقليمين الأول والثاني في الجزء المخصص للعمران

وما فيه من تجار وأنهار وأقاليم مؤكدا أنها المنطقة التي ساد فيها السواد والحر وأن اللون تابع لمزاج الهواء أي لدرجة الحرارة وبرودتها وفي ذلك يقول ابن سينا في أرجوزته:

بالزنج حرّ غيرّ الأجساد * حتى اكتست الجلود سوادا

والصقلب اكتست البياضا * حتى غدت جلودها بضاضا[3]

وأما جغرافيا فتشمل منطقة السودان الغربي كل المناطق التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والتي تمتد بين البحر الأحمر شرقا والمحيط الأطلسي غربا[4] وفي هذا المعنى يذكر زكريا القزويني (682هـ/1283م) في معرض كلامه : "...هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط..."[5] ويوافقه أبو عبيد البكري (ت487هـ) في رأيه، كما يجمع المؤرخون على تقسيم السودان إلى ثلاث أقاليم

اذ حصرنا هذه التسمية في المنطقة الممتدة من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقا إلى البحر المحيط -البحر الأطلسي- غربا.[6]

أما القسم الأول فهو السودان الشرقي الذي يضم مناطق واد النيل وروافده جنوب النوبة[7] والمعروف عند العرب بالزنج.[8]

ب. السودان الأوسط: يضم حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بافريقيا الوسطى

ج. السودان الغربي والذي يشمل بمفهومه الأقاليم التالية: موريطانيا ومالي والسنغال، قامبيا وغينيا، بوركينافاس، الطوغو، البنين، نيجيريا كامرون الغابون والكونغو[9].

أما الحدود الجغرافية للسودان الغربي فتبدأ من شمال الصحراء الكبرى وجنوب خليج غينيا وأما شرقا فالكمرون وخليج التشاد[10]، وأخيرا في الغرب نجد المحيط الأطلسي حيث تقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي العرض 4° و16° شمال خط الإستواء و13° و17° غرب غرينتش[11]، لكن في التعريف السياسي للسودان الغربي فهي ما بين الصحراء الكبرى في الشمال وحدود التشاد في الشرق والمحيط الأطلسي في الجهتين الغربية والجنوبية وجبال الكمرون في الجنوب الشرقي[12]، وتضم هذه المنطقة كل من السنغال وغامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا، ساحل الذهب والداهومي ونيجيريا بحيث تمثل المنطقة الجزء الكبير من افريقيا ويتكلم سكان هذه المنطقة لهجات مختلفة مثل لهجة النّوي والإيوي واليوربا هذا ما قاله جون فيجي في كتابه عن غرب افريقيا.[13]

حيث استقرت بهذه المنطقة أجناس بشرية تنحدر من جموع قبائل تتكون من عدّة قوميات، يمكننا اعتبار بعضها سكانا أصليين والبعض الآخر وافدين

إليها وأهّم تلك القوميات الماندي، سونرهاي، الهوسا والفولاني[14]

ويورد اليعقوبي (895/282 هـ) متحدثا عن أولاد كوش بن حام بن نوح قائلا: "... إنهم لما عبروا النيل افترقوا فرقتين، فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب، وهم النوبة، والبحة والحبشة والزنج وقصدت فرقة المغرب -أي غرب افريقيا- وهم زغاوة والقافو، المرويون، الكوكووغانة.[15]

كما يورد بعض المؤرخين أصل سكان المنطقة إلى العناصر الحامية الشرقية يدعون بالأسماء التالية البجاة أوالحبشة. يوجد أيضا قبائل نيلية وزنجية وهم المدعوون بالكوش[16] وأيما تغيرت الأسماء فأصول هذه المنطقة غالب عليها اللّون الأسود يلقبون بالزنوج الذين عمروا افريقيا الغربية وهم السكان الأوائل خاصة حين نحدد منطقة الغرب من السودان، يتجلى ذلك في تواجدهم على ساحل غانا والمنطقة الممتدة على نهر السنغال شمالا والمنطقة الساحلية بين نهرالسنغال وغامبيا،يلقبون بالولوف أوالولف"Wolf" والقبيلة الأخرى تلقب بـــ "**السرير**".[17]

أما الولوف فهم الأكثر سوادا بين الزنوج -الأسود الأبنوسي- لهم خاصية قوة البنية الجسدية، فيذكر أبوحامد الغرناطي أن أهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صورة، بسط الشعور فيهم عقولهم وفهم[18]، بينما السرير فيحملون صفات أكثر خشونة من الولف لكنهم أقل سوادا منهم (يتمركزون في أعالي نهر النيجر) طوال القامة وأقل بنية جسدية يتمركزون في أعالي النيجر، يتكلمون لغة "الماندينغو" ومنهم تفرعت جماعات أسست أهّم الدول في السودان الغربي كجماعة السننكي التي ساعدت في بناء دولة غانا قبل دخول

الإسلام إليها. ثم جماعة "مالنكي"، "Malinke" التي أسست دولة مالي القديمة[19]

مملكة غانا

ان دراسة بلاد السودان تستوحي دراسة مفصلة لممالكها، نقصد بالذكر كل من مملكة غانة، مالي مملكة سنغاي، هذا بعد دراسة الواقع الجغرافي البشري لاقليم السودان الغربي[20] وقد اكتشف هذا الموضوع نوع من الغموض من خلال اختلاف اراء العلماء في مس آلة الأسيقية التاريخية لتلك المماليك الثلاثية. فبعض الإراء تؤدي راي اقدمية كل مملكة على حدى ونرفض فكرة ميراث الملك بدء من غانا إلى مالي ومنها إلى مملكة سنغاي. والرأي الأخر يؤيد قضية توارث الملك من غانا فمالي ثم مملكة السنغاي.[21]، أما نحن فمع رأي الأغلبية المتمثل في الترتيب التاريخي لممالك السودان من غانا إلى سنغاي[22]

اذن تعتبر دولة غانة أقدم دولة في غرب إفريقيا –السودان الغربي– وهي أيضا أول دولة إسلامية هناك خلال القرون الوسطى وحتى نتعرف أكثر على أهّم التفاصيل نعرّج إلى ذكر موقعها ومسألة تسميتها.[23] لقد وردت تسمية غانا في العديد من أمّهات الكتب مثلما كتب البكري وياقوتي الحموي وإبن خلدون وإبن حوقل المسعودي واليعقوبي، السعدي ومحمود كعت وغيرهم كثير.[24] فمنهم من تحدث عن غانة الإسلامية وذكر أهّم معالمها ومنهم من تحدث عن غانة القديمة التأسيس والوثنية الديانة وكيف حاول الإسلام تغير منهجها ومذهبها فها هو أبو عبيد الله البكري يتحدث في معرض كلامه عن غانة القديمة التي تدين الوثنية والمجوسية موضحا أنها لم تكن مسلمة في كامل ترابها حيث

هناك مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا وفيها فقهاء... وحملة علم.... ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغية والمساكن بينهما من صلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط...

وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يغد عليه من المسلمين... وفيها دكاكيرهم[25] وقبور ملوكهم...[26] "كما يتفق عبد الله الادريسي في وصف موقع غانة عاى ضفاف نهر النيجر متحدثا بمايلي: "أن مدينة غانة الكبرى مدينتان على ضفتي البحر الحلو[27] وهي أكثر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، وإليها يقصد التجار المياسيرمن جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى أهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب[28].

يذكر ابن سعيد المغربي في كتابه مدينة غانة على النحو التالي: أنها تقع على ضفتي النهر الذي يحمل اسمها -نيل غانا-[29] مؤكد النسب الشريف لملكها الذي ينحدر من ذرية الحسن بن علي ﷺ[30] إذن فغانة هي الدولة الواقعة على ضفاف نهر النيجر جنوب الصحراء وللتأكيد على أمر موقعها الجغرافي.

يورد الإدرسي رأيه قائلا: "... أرض غانة تتصل من غربها ببلاد مقزارة... ومن مشرقها ببلاد ونقارة، وشمالها بأرض الصحراء المتصلة ببلاد السودان وأرض البوبر من اللملمية وغيرها. ومن مدينة غانة إلى بلاد ونقارة ثمانية أيام..."[31]

ويقصد بدولة غانا المنطقة التي تضم كل من موريتانيا والجزء الشرقي من السنيغال ثم بعض الأقاليم الخاضعة لمالي ويمكن تحديد المنطقة غانا بالمنطقة الواقعة بين نهري السنغال والنيجر من القرون الأول الميلادي حتى عام 1240م مؤسسة حضارة عريقة متمثلة في مملكة "أوكارا" [32]

أمّا بخصوص تسميتها بهذا الإسم فيبدو أنه ساد الإتفاق في معظم الكتابات التي تناولت غانا بالدراسة معتمدين في ذلك على رأي البكري في تحديد أصل تسمية غانة والتي تعني القيادة العسكرية حيث شملت المدينة التي وجدت فيها مركز القيادة العسكرية كل الدولة[33].

وهذا الذي عرضه البكري في كتابه قائلا: "... وغانة سمة لملوكها واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين وأربع ماية تنكامين وولي سنة خمس وخمسين..."[34]

وقد سميت ببلاد الذهب، هذا ما اتفق عليه معظم مؤرخي غرب إفريقيا. لماذا ؟ لأنها المنطقة التي احتكمت على مناجم الذهب أو قل أن ذهب غانا على غرار ذهب السودان الغربي كان ينبت كما ينبت العشب.[35]

مملكة مالي

تعّد دولة مالي من أقوى دول السودان الغربي صيتا في العصور الوسطى بعد أن كانت خاضعة لدولة غانا ردحا من الزمن بين بداية القرن الثاني عشر إلى نهاية الخامس عشر[36]، فقد أعلنت مالي قيامها على أنقاض مملكة "غانا" وامتد سلطانها إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربا وبعض مناطق الصحراء شمالا[37]

وقد حدد الحسن الوزان مساحتها بثلاثمائة ميل وأنها تمتد على طول أحد فروع النيجر، محدودة بجبال وعرة وغربا غابات مسحورة التي تمتد إلى المحيط وشرقا إلى إقليم كانو.[38] بينما يحدثنا القلقشندي عن مساحة مالي قائلا أنها مسافة أربعة أشهر فأكثر وكذلك مثلها طولا[39].

لقد اختلفت الروايات في تحديد أرجاء مالي، لكن المؤكد أن مالي كانت واسعة الامتداد ضمت مناطق جديدة لم تكن تخضع لمملكة غانة وبذلك فقد فتح ملوك مالي أقاليم أخرى ساهمت في اتساع مساحة مالي[40]، فهي رقعة امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد "كانم" و"البورنو"و"الهوسا" شرقا ومن غابات السفانا جنوبا والصحراء الكبرى شمالا.

ويعود الفضل في ذكر مالي وسائر مناطق السودان الغربي إلى قلة من المؤرخين العرب الذين دوّنوا مشاهداتهم، فيكاد يكون البكري أول المؤلفين العرب الذين ذكروا مالي[41]، ثم العمري والقلقشندى وبعدهما ابن خلدون وابن بطوطة ثم الحسن الوزان ومن المؤرخين المتأخرين السعدي عبد الرحمن ومحمود كعت.[42]

وإذا توقفنا عند مسألة تسمية مالي فهناك اختلاف في أسمائها خاصة عند قبائل الماندي والفولاني وفي اللهجات البربرية بما يلي "المالل" "الملل" "المل" و"المليت" وقد سكن مالي قبائل الماندينغ الذين يتفرعون إلى الماندي الشّمالي والجنوبي والمانديكا في وادي النيجر والماندينج "Manding"[43] في الجنوب بالإضافة إلى الجالية المسلمة والتي تتنوع بين العرب والبربر[44].

كما تعني كلمة مالي في اللّغة الملانكية المكان الذي يقطن فيه الملك وفي رواية أخرى هي البرنق أوفرس النهر، وقد اعتبر القلقشندي أول من وضّح نطق كلمة مالي في معرض كلامه: "مالي الذي يكون بفتح الميم ولام مشدّدة مفخمة وياء مثناة"[45]

وقد اشتهرت مالي باسم "**التكرور**"[46] ساعدت على نشأة هذه المملكة -مالي- الظروف التي هوت بمملكة غانة ويمكننا القول أن أساس الدولة المالية بنيت على أنقاض دولة غانة التي شهدت اضطرابات داخلية ناتجة عن تمرد قبائل الصوصوعلى غانة فبعد أن فتح المرابطون غانة سنة 1076 واستتب الأمر لهم فيها بدأ ملوك وأمراء غانة في المغالاة في الضرائب أو الجزية على شعب الصوصوفي أطراف الدولة والضغط الداخلي على قبائل الماندي مما دفع بشعب الصوصوإلى لمّ نفسه وتوحيد قوته بزعامة "**سونديا تاكايتا**" وأطاح بعاصمة غانة "**كومي صالح**" سنة 1203 [47].

وبحكم ديمومة الحياة التي تفرض البقاء للأقوى استطاع أحد حكام مالي والمسمى "سونديا تاكيتا"[48] عام 1235 م من ردع المتمردين[49] وهو صاحب الفضل في تأسيس الركائز الأولى لمالي[50]، فقد نقل العاصمة إلى "نياني" على شاطئ نهر السانكار واهتم ببناء الدولة ذات الدعائم حيث ركز اهتمامه بتشجيع الزراعة والصناعة وأعطى عناية كبيرة للتجارة لاسيما تجارة الذهب.[51]

وبدأ بعد ذلك حكم المنسي موسى(1311-1331م)-يسميه العرب سلطان التكرور- الذي ترك أثر كبير في بناء الدولة حين وصل بالبلاد إلى درجة عالية بلغت

سمعتها الأندلس وأوربا مع المشرق الإسلامي حيث أصبحت حواضرها مراكز إشعاع ثقافي واقتصادي.[52]

وقد عمل المنسى موسى جاهدا على تقريب رعيته منه بالمعاملة والإهتمام مما ساهم في توطيد دعائمه في الحكم[53]. وانتقل الحكم من المنسى موسى إلى المنسى سليمان الذي يعتبر آخر السلاطين في عصر القوة والإزدهار لدولة مالي.

وبعده دخلت مالي في عصر الانحطاط والضعف واجتمعت أسباب كثيرة لذلك أهمها انشقاق جسد الدولة الواحدة بين القبائل حيث استولى الطوارق[54] على تمبكتووجيني، هجوم قبائل الموسى الوثنية على جنوب مالي وقبائل الولوف على الغرب وقبائل سنغاي من الشرق مع تسلط واستبداد كبار الموظفين على السلطة، الأمر الذي أثقل كاهل الدولة وأدى إلى انقراضها ليبدأ عهد وحكم جديدين في السودان الغربي بقيادة سينغاي.[55]

مملكة سنغاي

تأتي سنغاي كثالث حلقة في تاريخ السودان الغربي، إذ يمكن القول أنها آخر وريث لعرش الحكم والقوة في غرب افريقيا[56] وللتعريف بهذا الإقليم علينا نبدأ أولا عند مسألة التسمية لمملكة سنغاي وحتى الكتابة، فمنهم من يكتبها بالسين ومنهم من يكتبها بالصاد.[57]

إن ما يخص تسمية المملكة فقد تطرق إليها الدكتور هارون ميغاقي مقال وتعرض إليها بالتفصيل.

أما مملكة سنغاي فقد كان ظهورها مع القرون الأولى ميلادية[58]، فقد كانت معاصرة لإمبراطورية مالي وغانة، كانت تدين الوثنية قبل انتشار الإسلام منذ حوالي القرن السابع الميلادي[59].

استوطن المنطقة شعوب اختلطت لتكون تركيبة سكانية من عرب، بربر وزنوج متفرعة أهمها قبائل السنغاي أوسونرهاي الذين تمركزوا بالأقاليم الواقعة جنوب تمبكتوو تمتد على ضفتي نهر النيجر إلى مدينة داندي ومنها إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا.[60]

وقد قاد المملكة أسرة كانت تدعى "داب" إلى غاية 1325 م جاعلين من مدينة كوكيا عاصمة لهم. وكان أول من تملك دولة سنغاي "**زا الأيمن**"[61] ليخلفه أربعة عشرة ملكا[62].

يعد الملك "**زاكاس**"[63] -1009م- أول من أسلم منهم.[64] وأول ما قام به "زاكاس" نقل العاصمة من "كوكيا" إلى "غاو" آخذا بعين الاعتبار موقعها الاستراتيجي الممتاز ذلك لتوسطها في المملكة الذي يجعلها همزة وصل للقوافل التجارية القادمة من المغرب الإسلامي أو من الشرق والتي كانت دسمة بالبضائع و**عامرة** العلماء والدعاة لتحمل في طريق عودتها طلاب العلم من السودان، كل له وجهته سواء مصر أوالمغرب الإسلامي أوإلى الأندلس.[65]

وفي هذه الفترة ظهر تنافس شديد بين المملكتين - مالي وسنغاي. ساهمت فيها عدّة أسباب منها رغبة كل دولة في تكوين وحدة إسلامية على حساب الأخرى.

وتعتبر هذه المسألة المحرك الأساسي لتدوير عجلة الصراع بين الدول الإسلامية في غرب إفريقيا، فلما أفل نجم مالي في حوالي القرن الخامس عشر رجحت كفة سنغاي بقيادة أحد ملوكها "محمد دوغو" عام 823هـ/1420م الذي ثبت دعائم حكمه على حساب مالي. ثم وصل زمام الأمور إلى سني علي وبذلك تحول لقب الملك من "زا" إلى "سنى".[66] ويعتبر **"علي كولن"** أي - سنى علي- المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي حيث بدأ التوسع الفعلي للمملكة على حساب القبائل المجاورة، فاستعاد تمبكتوعام 1468م/873هـ، ثم أخضع منطقة النيجر كلها واستولى على **"جنى"** عام 1473م وفي بعض الروايات يقال في سنة 1475، وقضى على قبائل الموسي الوثنية سنة 1483م.[67]

قد وضع "سنى علي" بصمته في تاريخ سنغاي من الجانب العسكري فعرف باندفاعه وقوته المسيطرتين أينما حلتا. أما في إسلام هذا الملك وتدينه فقد أسال حبر كثير من المؤرخين الذين شككوا في تحمسه لدينه ومنهم من كفروه وتحاملوا عليه. على رأسهم السعدي[68]

لفلا بأس أن نورد رأيه في المسألة. **"وأما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر "سن علي"** برفع السين المهملة وكسر النون المشددة... فإنه كان ذوقوة عظيمة ومتنة جسيمة ظالما فاسقا متعديا متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة..."[69]

ويورد المؤرخ **محمود كعت**: " ... ثم خلف سلمن دام الظالم الفاجر الملعون

المتسلط شنى عال[70] وهو آخرهم... وهو سلطان قاسي القلب..."[71] ورأيهما مهم في ثبوت تحامل المؤرخين على هذا السلطان لأنهما من المؤرخين المعاصرين لمملكة سنغاي وأقربهما لنقل الصحيح من مشاهداتهم.

ثم ينتهي حكم "سني علي" بعد ثمانية وعشرون سنة. توفي سنة 1492م ويصبح الحكم في يد أحد أولاده وكان يدعى **"أبوبكر" والملقب بـــ"كربير"**. عرف بضعفه وفشله وذيوع مفاسده، لم يلق ترحيبا من العلماء والنخبة، لذلك عمل وزيره **"محمد أبوبكر"** الملقب بمحمد ألطوري بالانقلاب عليه والاستيلاء على الملك. ومنذ ذلك الحين أطلق عليه اسم أسقيا -أوأسكيا- بمعنى المغتصب. أي أن وصوله إلى الحكم لم يكن شرعي، وقد كان ذلك سنة 1493 م إلى 1528م.[72]

يتحدث عنه السعدي في معرض كلامه قائلا: "... ثم نصر الله تعالى الأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر وهرب سني أبوبكر داعو إلى أين فبقي... فتملك الأسعد الأرشد يومئذ وكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ولما بلغ الخبر بنات سن علي قالت أسكيا معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر ألا يلقب إلا به فقالوا أسكيا محمد[73]، ففرج الله تعالى عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب..."[74]

فقد عرف هذا الملك بحبه للعلماء والفقهاء وإرجاء الحل والربط بيد أصحاب الحكمة والعلم، وبلغت الدولة في عهده أوجها وعلوها حيث نظمت الإدارة وجهز الجيش وفتحت البلاد وانتعش الغباد بضم أقاليم جديدة في الشمال وعلى سواحل الأطلسي لتمتد من مناطق قبائل الفولاني ومنها إلى

حوض السنغال في الغرب ثم منطقتي أغدس ودندي والهوسا شرقا وجنوبا بلاد موسى على حوض النيجر حتى عمق الصحراء شمالا.[75]

إهتم الأسقيا محمد[76] باستجلاب الفقهاء والقضاة والعلماء ونال إحترامهم وتقديرهم من أجل تصحيح فكرة وصوله للملك في أعين الخاصة والعامة.

وأهم حدث في تاريخ "الأسقيا محمد" خروجه لأداء فريضة الحج سنة 1497 في موكب مهيب من حيث العدة والعدد -عدد كبير من العلماء والأعيان والدواب المحملة بالأمتعة والذهب[77]

إضافة إلى سابقة شراء وقف في الأراضي المقدسة بني عليها مساكن خاصة بحجي السودان الغربي[78]

انتهى عهد "محمد الأسقيا" عام 1528 م لينتقل الملك إلى أبنائه[76] ثم إلى آل آسقيا، من أهم أولئك الحكام أسكيا داوود (1549- 1582م) وقد كانت فترة حكمه طويلة تمكن من وضع بصمته فيها حيث تميزت بغزواته العديدة اشتهر بحنكته السياسية في إدارة الحروب، لكن بعد ذلك تضعضع الملك في سنغاي وبدأ العد التنازلي لعمر المملكة.[79]

الهوامش

[1] وتذكر الروايات في نفائس الكتب أن السود هم أولاد كوش بن حام بن نوح وأن منهم الحبشة والسودان. ينظر: أبوأحمد، ابن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: طبعة دار صادر 1992، ص191، ينظر أيضا: عبد الرحمن، بن خلدون، المقدمة، تحقيق: خالد، عطار، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر 2001، ص98 المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محي الدين، دم: مطبعة التجارية، ج2، 1958، ص4.

[2] محمود شاكر، **مواطن الشعوب الاسلامية في إفريقيا السودان**، ط2، بيروت: المكتب الاسلامي، 1401هـ/1981م، ص09.

[3] بن خلدون، المصدر نفسه، ص99.

[4] محمد فاضل، ابراهيم، كريدية، **المسلمون في غرب إفرقيا، تاريخ ومحاضرة**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص.ص19-20.

[5] القزويني، **آثار العباد وأخبار البلاد**، بيروت: دار صادر، 1969، ص22.

[6] هارون، المهدي ميغا، **إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للامبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا**، مجلة دراسات، إفريقية، مركز الدراسات الإفريقية، ع37، ص.ص1-2.

[7] النوبة: تعني بلاد الذهب عند قدماء مصر، عاصمتها مدينة دنقلة العجوز التي فتحت نهائيا على يد السلطان ابن قلاوون سنة 1318م، يرجع: محمود شاكر، مرجع سابق، ص.ص11-12. يذكرها البلاذري قائلا: "... حدثني محمد بن سعد قال؛ حدثني محمد بن عمر الواقدي عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير قال: لما فتح المسلمون مصر بعث عمر بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل، فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخا العاص لأمه، فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائق الروم، فلقي المسلمون في النوبة قتالا شديدا، رشقوهم بالنبال. ينظر: البلاذري، **فتوح البلدان**...ص151.

[8] يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر والعشرين**، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص08.

[9] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص09.

[10] نفسه، ص09.

[11] محمد فاضل، ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص.ص19-20.

[12] فيجي جي دي، **تاريخ غرب افريقيا**، ترجمة وتقديم: يوسف نصر، ط1، أسيوط: دار المعارف، قسم التاريخ، كلية الآداب، 1982، ص15.

[13] عطية مخزوم، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء –مرحلة انتشار الإسلام**، بنغازي: منشورات جامعة قازيونس، 1997، ص09.

[14] هارون المهدي ميغا، المرجع نفسه، ص3.

[15] أبوأحمد، بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، المصدر نفسه، ص.ص193- 194.

[16] محمود شاكر، المرجع نفسه، ص10 هارون ميغا، المرجع نفسه، ص13.

[17] علي ناجي، **لمحات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم**، الكويت: دار الكتاب الحديث، د.ت، ص.ص5.

[18] أبوحامد، الغرناطي الأندلسي، **تحفة الألباب ونخبة الاعجاب**، تحقيق: اسماعيل العربي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص35.

[19] جون فيجي، المرجع نفسه 51، وينظر ايظا: علي ناجي، المرجع نفسه، ص53 وينظر أيظا: محمد، فاضل، المرجع نفسه، ص12.

[20] نقصد بالواقع الجغرافي والبشري ما ورد في التعريف العام للسودان الغربي.

[21] هارون ميغا، مرجع سابق، ص3.

[22] عطية مخزوم، مرجع سابق ص234، يرجع أيضا: محمد فاضل، إبراهيم كردية مرجع سابق ص.

[23] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع نفسه، ص232...

[24] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، تحقيق: احسان عباس، ط2، ج4، بيروت: مكتبة لبنان، 1984، ص184، محمد فاضل، إبراهيم كريدية، نفس المرجع، ص58..، ينظر: إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص284.

[25] الدكاكير: جمع الدكور وتعني الصنم ابوالوثن، يذكر البكري في كتابه **المغرب في ذكر إفريقية المغرب**، الجزء الخاص من كتابه المسالك والممالك في أكثر من مقام عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مقتطف من المسالك والممالك، تحقيق: دي سلان، 1965، ص276-275.

[26] أبوعبيد البكري، مصدر نفسه، ص274-275.

[27] البحر الحلو: يقصد به ماء نهر النيجر العذب، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص282.

[28] عبد الله الإدريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، مأخوذة من كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ليدن: مطبعة بريل، 1863، ص38.

[29] نيل غانة: يقصد به نهر النيجر وفي كل الكتابات القديمة تذكر أنهار غرب إفريقيا سواء نهر السنغال أونهر غانة باسم النيل، ربما لعظم شهرة النيل فب القديم. ينظر: إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص286.

[30] الإدريسي، المصدر نفسه، ص177.

[31] عطية، مخزوم، الفيتوري، المرجع السابق، ص233، يتفق معه أيضا محمد فاضل كريدية مرجع سابق، ص59.

[32] البكري، مصدر سابق، ص174، ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص.ص233-234.

[33] محمد فاضل، ابراهيم كريدية، مرجع سابق، ص58.

[34] البكري، مصدر نفسه، ص174، ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص.ص233-234.

[35] جون فيجي، المرجع نفسه، ص.ص40- 45.

[36] الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامية، 1983، ج2، ص164.

[37] الخليل النحوي، **بلاد شنقيط "المنارة والرباط" عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص18.

[38] الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص164.

[39] القلقشندى، **صبح الأعشى في صناعة "الإنشاء"**، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص283.

[40] عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص235.

41 يقول عنها ابن سعيد، أنها الواقعة شرق إقليم كوك وقاعدة مملكة مالي، ينظر: إبن سعيد، علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، المكتبة التجارية، 1970، ص92.

42 محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص79 وينظر: إسماعيل، العربي، مرجع نفسه، ص.ص281-286.

43 جون فيجي، مرجع نفسه، ص51.

44 أحمد لحمدي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية لتوات عصره وآثاره**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999-2000، ص19.

45 القلقشندي، المصدر السابق، ص288.

46 تكرور: أطلق هذا الإسم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، وهو إسم شائع في الحرمين الشريفين ومصر. ينظر: محمد بن عثمان فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ التكرور**، تحقيق: بهيجة الشادلي، الرباط: جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقيا، 1996، ص47. يقول عنها "البرتلي أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى أدغاغ، ومغربا إلى بحر بني زناغية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى أدرار" ينظر: البرتلي، أبي عبد الله، **فتح الشكور في معرفة أعيان وعلماء التكرور**، تحقيق: حجي محمد وإبراهيم الكتاني، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص26.

47 عطية مخزوم، الفيتوري، مرجع سابق، ص2.

48 وقد اختلفت المصادر في إسم هذا الزعيم فيذكره ابن خلدون بإسم ماريي جاطة الذي يعني الأمير والأسد. ينظر: مبحوت، بودواية، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بنوزيان**، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب علوم إنسانية والعلوم الإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2005-2006، ص.ص43-44.

49 مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص43.

50 ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص413.

51 نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقا الغربية**، دمشق: مكتبة الأطلس، 1963، ص69.

52 مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص46.

53 عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق: هوداس، باريس: مطبعة بردين، 1964، ص32.

[54] الطوارق يذكرهم السعدي في كتابه تاريخ السودان قائلا: هم قبائل المسوفة من صنهاجة، يرفعون نسبهم إلى قبائل حمير وهم الملثمون. ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، المصدر نفسه، ص25.

[55] جون فيجي، المرجع السابق، ص53، ينظر أيضا: عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء**، الجزائر: مؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989، ص20.

[56] محمد فاضل إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص109، ينظر أيضا: عطية مخزوم، مرجع سابق، ص304.

[57] إبراهيم ميغا، مرجع نفسه، ص2.

[58] المرجع نفسه، ص2.

[59] عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص 302، عبد القادر زبادية، مرجع نفسه، ص20.

[60] مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص48.

[61] زا الأيمن: يورد السعدي أنه قدم من اليمن، وقدومه إلى كوكيا في وقت أين كان الشعب السنغاي يعاني من جبروت حوت كبير كانوا يعبدونه ويهابونه، حتى قدم "زا" ورمى عليه الحديد وقتله فخلص أهل سنغاي منه فنصبوه ملكا عليها، السعدي، مصدر نفسه، ص62.

[62] أربعة عشرة ملك هم: علي كلن، سليمان نار، إبراهيم كاباي، عثمان كافانا، باري كينا، محمد دع، محمد كونيجيا، محمد فاري، كاربيفو، مارفي .كول، ماري هاي ماردانو، سليمان دم علي بير "باري دع" نقلا عن: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص382.

[63] زاكاس أوزاكاسي: هوالملك الخامس عشر من أسرة دايا وهوأول من أسلم، يذكر السعدي أنه كان ينعت بـــ "مسلم دم" بلغة البلاد أي أنه مسلم طوعا بلا إكراه وكان ذلك في 400 هـــ/1009م، ينظر السعدي، مصدر نفسه، ص3.

[64] محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص.ص111-112.

[65] المرجع نفسه، ص112.

[66] محمد فاضل، إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص113.

[67] عطية مخزوم، المرجع السابق، ص303، ينظر أيضا: نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقا الغربية**، دمشق: مكتبة الأطلس، 1963، ص69.

[68] يورد السعدي رأي السيوطي في سني علي عند ذكره لحوادث القرن التاسع هجري قائلا: "...أن رجلا ظهر بالتكرور يقال له سنّ علي أهلك العباد والبلاد ودخل في السلطة سنة تسع وتسعين وثمانماية..." ينظر: السعدي، المصدر السابق، ص64.

[69] عبد الرحمن السعدي، المصدر نفسه، محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص64.

[70] شني عال: يذكر محمود كعت الملك "سني علي" باسم شني علي ويعترف بقوته وقوة جيشه قائلا: "... وكان منصورا وما قابل أرضا قصده إلا خربه وما كسر له جيش كان فيه قط غالبا غير مغلوب [P.12] لم يترك بلدا ولا مدينة ولا قرية من أرض كنت إلى شبردك إلا وقد جرى خيله فيه وحارب أهله وغار عليهم..." ينظر: محمود، كعت التمبكتي، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، باريس: دار هوداس، 1964، ص43.

[71] محمود كعت، مصدر نفسه، ص43.

[72] عطية مخزوم، مرجع سابق، ص306.

[73] لقد كان الملك محمد أسكيا قائدا عسكريا وإداريا مقتدرا، محنكا متضلعا حيث وسع نطاق سنغاي الجغرافي، عمل على تقريب الفقهاء والعلماء وأحسن معاملتهم لينال احترام الخاصة والرعية. ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص306.

[74] السعدي، مصدر نفسه، ص72.

[75] عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص307.

[76] تولى كرسي الحكم تسعة ملوك من آل اسقيا من بينهم الأسقيا موسى 1531/1528 وبعده الأسقبا موسى المتعطش للدماء، ليلي الحكم الأسقيا محمد الثاني حكم ستة أعوام، لياتي إسماعيل ويعتلي عرش الحكم من 1537 إلى 1539 وينتقل الحكم بعد ذلك إلى إسحاق الأول 1539-1549، اجري عملية تطهيرية في الإدارة وبعده أخوه الأسقيا داوود 1549-1582 ليخلفه الحاج الاسقيا محمد الثالث 1582-1586 ليعزله أخوه محمد بان من 1586-1588 ثم الأسقيا إسحاق الثاني 1588-1591 الذي دخل في عراك مع السلطان أحمد المنصور الذهبي سلطان المغرب الأقصى بغية الاستلاء على مناجم ملح تغازاوجلب معادن التبر. ينظر: مبخوت، بودواية، مرجع سابق، ص.ص50-52.

[77] يقول السعدي أن الأسقيا محمد أنفق بسخاء في طريقه إلى الحج مارا بمصر وقد قدرها بثلاثمائة ألف قطعة من الذهب، ينظر: عبد الرحمان، السعدي، مصدر سابق، ص76، ينظر أيضا: محمود كعت التمبكتي، **تاريخ الفتاش**، مصدر سابق، ص19.

[78] السعدي عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص.ص75-76.

[79] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص43، ينظر أيضا : يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص73، عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص.ص310-311، وينظر أيضا: مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص51.